سورة الأنعام

٢٨٦ ـ قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ..﴿١﴾﴾.

جمع السماء دون الأرض لما مر فى البقرة.. وجمع الظلمة دون النور لأنها اسم جنس، والنور مصدر والمصدر لا يجمع.

وقيل: لكثرة أسبابها بخلاف النور.

و﴿جعل﴾ تأتى لخمسة معان:

فتأتى بمعنى «خلق» كما هنا وكما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا..﴾ [فصلت: ١٠].

وبمعنى: «بعث» كما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيراً﴾ [الفرقان: ٣٥].

وبمعنى: «قال» كما فى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا الْمَلائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا..﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: ١٩].

وبمعنى: «بين» كما فى قوله تعالى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا..﴾ [الزخرف: ٣] أى بيناه بحلاله وحرامه.

وبمعنى: «صير» كما فى قوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً..﴾ [الأنعام: ٢٥].

وقوله تعالى: ﴿.. وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا..﴾. [النمل: ٦١].

٢٨٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ..﴿٣﴾﴾.

فائدة: ذكر الجهر بعد السر مع أنه مفهوم منه بالأولى المقابلة و«التأكيد» كما فى قوله تعالى: ﴿فمن تعجل فى يومين فلا إثم عليه ومن تأخر فلا إثم عليه﴾.

٢٨٨ ـ قوله تعالى: ﴿فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٥﴾﴾ بسط هنا، واختصر فى الشعراء فقال: ﴿فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون﴾، لأن ما هنا سابق على ما هناك فناسب البسط هنا، والاختصار ثم.

٢٨٩ ـ قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ .. ﴿٦﴾﴾.

قال هنا وفى «النحل: ٧٩» بلا عاطف من واو وفاء عقب الهمزة وفى «الشعراء: ٧» بواو وفى «سبأ: ٩» بفاء.. لأن مثل هذا الكلام يأتى للإنكار فإن اعتبر فيه الاستدلال لم يؤت بواو ولا فاء، ليكون كالمستأنف.

وان اعتبرت فيه المشاهدة أتى بالواو والفاء لتدل الهمزة على الانكار والواو أو الفاء على عطف ما بعدها على مقدر قبلها يناسبه فى المعنى المناسب لمعنى ما قبل الهمزة، لكن الفاء أشد اتصالاً بما قبلها من الواو والتقدير فى الشعراء: «أكذبوا الرسل ولم يروا»؟

وفى سبأ: ﴿أكفروا فلم يروا﴾؟

٢٩٠ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا .. ﴿١١﴾﴾ الآية. قاله هنا بـ «ثم» الدالة على التراخى وفى غير هذه السورة بالفاء الدالة على التعقيب مع اشتراكهما فى الأمر بالسير لأن ما فى هذه السورة وقع بعد ذكر القرون، فى قوله: ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾ وقوله: ﴿وأنشأنا من بعدهم قرنًا آخرين﴾ فتعددت القرون فى أزمنة متطاولة فخصت الآية هنا بـ «ثم» بخلاف ما فى غير هذه السورة إذ لم يتقدمه شىء من ذلك فخصت بالفاء.

٢٩١ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ

---

٢٨٩ ـ البرهان ٩٣ والنووى ١١٣.

٢٩٠ ـ راجع البرهان مسألة ٩٤ وإرشاد العقل السليم ٢/١٧٧.

﴿الْعَلِيمُ..﴿١٣﴾﴾ خص الساكن بالذكر دون المتحرك لأن الساكن من المخلوقات، أكثر عددًا من المتحرك.

أو لأن كل متحرك يصير إلى السكون من غير عكس.

أو لأن السكون هو الأصل والحركة حادثة عليه.

٢٩٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ .. ﴿١٤﴾﴾ الآية. خص الإطعام بالذكر، لأن الحاجة إليه أتم.

٢٩٣ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ..﴿١٩﴾﴾.

إن قلت: كيف اكتفى من النبى ﷺ فى الجواب بقوله: ﴿الله شهيد بينى وبينكم﴾ مع أن ذلك لا يكفى من غيره؟

قلت: لأنه قادر على إقامة الحجة على أنه شهيد له، وقد أقامها بقوله: ﴿وأوحى إلى هذا القرآن لأنذركم به﴾ بخلاف غيره لا يقدر على ذلك.

٢٩٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

بدأ الآية هنا بالواو وختمها بقوله: ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾.

وبدأها فى «يونس: ١٧» بالفاء، وختمها بقوله: ﴿إنه لا يفلح المجرمون﴾.

لأن ما قبلها ثم سبب لها، ومعطوف بالفاء ومذكور فيه المجرمون فناسب فيها ما ذكر، بخلاف ما هنا فإن المتقدم فيه معطوف بالواو ولم يذكر فيه المجرمون.

٢٩٥ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلاَّ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴿٢٣﴾﴾.

كذبوا فى قولهم ذلك، مع معاينتهم حقائق الأمور ظنًا منهم أنهم يتخلصون به.

فإن قلت: كيف الجمع بين هذا وبين قوله: ﴿ولا يكتمون الله حديثا﴾؟

قلت: فى القيامة مواقف مختلفة ففى بعضها لا يكتمون، وفى بعضها يكتمون، بل يكذبون ويحلفون كما فى قوله تعالى: ﴿عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ «الحجر: ٩٣» مع قوله تعالى: ﴿فيومئذ لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان﴾.

٢٩٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ .. ﴿٢٥﴾﴾ قال هنا «يستمع» بالإفراد، وفى «يونس» ﴿ومنهم من يستمعون إليك﴾ بالجمع لأن ما هنا نزل فى قوم قليلين وهم «أبو سفيان» و«النضر بن الحارث» و«عتبة وشيبة وأمية وأبىّ ابن خلف» فنزلوا منزلة الواحد، فأعيد الضمير على لفظ «من» وما فى «يونس» نزل فى جميع الكفار، فناسب الجمع، فأعيد الضمير على معنى «من».

وإنما لم يجمع ثم فى قوله تعالى: ﴿ومنهم من ينظر إليك﴾ لأن الناظرين إلى المعجزات أقل من المستمعين للقرآن.

٢٩٧ ـ قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ .. ﴿٢٧﴾﴾ وفى أخرى بعدها ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ .. ﴿٣٠﴾﴾ لأنهم أنكروا وجود النار فى القيامة، وجزاء ربهم ونكاله فيها، فقال فى الأولى ﴿على النار﴾ وفى الثانية ﴿إذ وقفوا على ربهم﴾ أى على جزاء ربهم ونكاله فى النار.

٢٩٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا إِنْ هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ قاله هنا بدون ﴿نموت ونحيا﴾ وفى «المؤمنون: ٣٧» و«الجاثية: ٥» به لأنهم فى القيامة قالوه بموقف ولم يقولوه بآخر فأشار إلى الأمرين بما ذكر.

٢٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. ﴿٣٢﴾﴾ الآية. قدم اللعب هنا وفى «القتال» و«الحديد» وعكس فى «الأعراف: ٥١» و«العنكبوت: ٦٤» لأن اللعب زمن الصبا، واللهو زمن الشباب وزمن الصبا مقدم على زمن الشباب، فناسب إعطاء المقدم للأكثر، والمؤخر للأقل.

---

٢٩٦ ـ البرهان ٩٧ والنووى ١١٨.

٣٠٠ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلا تَعْقِلُونَ..﴿٣٢﴾﴾.

خص المتقين بالذكر، مع أن غيرهم كذلك، لأنهم الأصل وغيرهم تبع لهم، وقرىء هنا ﴿وللدار الآخرة﴾ بلامين ثانيهما مدغمة فى الدار ورفع الآخرة بجعلها صفة للدار وبإضافة الدار إليها بلام واحدة تبعًا لاختلاف المصاحف فى ذلك. وفى «يوسف:١٠٩» بالوجه الثانى فقط تبعًا للمصاحف.

٣٠١ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

إن قلت: كيف قال لمحمد ذلك وهو أغلظ خطابًا من قوله لنوح: ﴿انى أعظك أن تكون من الجاهلين﴾ مع أن محمدًا ﷺ أعظم رتبة؟

قلت: لأن نوحًا كان معذورًا بجهله بمطلوبه، لأنه تمسك بوعد الله تعالى، فى إنجاء أهله، وظن أن ابنه من أهله. بخلاف محمد ﷺ لم يكن معذورًا، لأنه كبر عليه كفرهم مع علمه أن كفرهم وإيمانهم بمشيئة الله تعالى وأنهم لا يهتدون إلا أن يهديهم الله تعالى.

٣٠٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره مع أنه مفهوم من قوله قبله: ﴿والموتى يبعثهم الله﴾ لأنهم إذا بعثوا من قبورهم فقد رجعوا إليه بالحياة بعد الموت؟

قلت: ليس مفهومًا منه، لأن المراد به وقوفهم بين يديه للحساب والجزاء، وهو غير البعث الذى هو إحياء بعد الموت.

٣٠٣ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً .. ﴿٣٧﴾﴾ وقع جوابًا لقولهم ﴿لولا نزل عليه آية من ربه﴾.

فإن قلت: لو صح جوابًا له، لصح من كل من ادعى النبوة وطولب بآية أن يجيب بذلك؟

---

٣٠٠ ـ البرهان ١٠٠ والنووى ١٢٠.

قلت: يلتزم ذلك أن تثبت نبوته بمعجزة كما ثبتت للنبى ﷺ بها، وإلا فلا يصح الجواب بذلك.

٣٠٤ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ..﴿٣٨﴾﴾ فائدة ذكر ﴿فى الأرض﴾ بعد دابة مع أنها لا تكون إلا فى الأرض، وذكر ﴿يطير بجناحيه﴾ التأكيد، كما فى قوله تعالى ﴿لا تتخذوا إلهين اثنين﴾ أو زيادة التعميم والاحاطة.

٣٠٥ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ..﴿٤٠﴾﴾.

أى أرأيتم آلهتكم تنفعكم إن أتاكم عذاب الله؟ وقد جمع فى هذه الآية ونظيرتها بعد «٤٧» بين علامتى خطاب «التاء» و«الكاف» لمزيد الاهتمام للمراد، والذى هو الاستئصال بالهلاك والتاء اسم إجماعًا والكاف حرف خطاب عند البصريين.

٣٠٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. فَأَخَذْنَاهُم بِالْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ﴿٤٢﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى الأعراف ﴿يضرعون﴾ بالإدغام. لأن ههنا وافق ما بعده، وهو قوله ﴿جاءهم بأسنا تضرعوا﴾ ومستقبل «تضرعوا» «يتضرعون» لا غير.

٣٠٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ ثُمَّ هُمْ يَصْدِفُونَ﴿٤٦﴾﴾ كرره «٥٠» طلبًا للرغبة فى إيمان المذكورين إذ التقدير: ﴿انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون﴾ أى يعرضون عنها، فلا تعرض عنهم، بل كررها لهم ﴿لعلهم يفقهون﴾ أى يفهمون.

وإنما ختم الأولى بقوله ﴿ثم هم يصدفون﴾ والثانية بقوله ﴿لعلهم يفقهون﴾ لأن الاعراض عن الشىء، أقبح من عدم فهمه فوصفوا بالأول فى

---

٣٠٥ ـ البرهان ١٠١ وزاد المسير لابن الجوزى ٣/٤٢.

٣٠٧ ـ البرهان ١٠٣.

الآية الأولى، تبعًا لما وصفوا به قبلها من قسوة قلوبهم، ونسيانهم ما ذكروا به وغيرهما، وذلك مفقود فى الثانية.

٣٠٨ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ .. ﴿٥٠﴾﴾.

كرر «٥٠» فيها «لكم» لعدم ذكره قبلها وبعدها ولم يكرره فى اية «هود: ٣١» اكتفاء بذكره قبلها مرتين: فى قوله ﴿إنى لكم نذير﴾ وقوله ﴿وما نرى لكم﴾ وبعدها مرة فى قوله ﴿أن أنصح لكم﴾.

٣٠٩ ـ ﴿وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٥﴾﴾ ترك تعيين سبيل المؤمنين لعلمه من تبيين سبيل المجرمين.

٣١٠ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ..﴿٦٠﴾﴾. الآية. أى كسبتم فيه، وخص النهار بالذكر دون الليل لأن الكسب فيه أكثر لأنه زمن حركة الإنسان والليل زمن سكونه.

٣١١ ـ قوله تعالى: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ .. ﴿٦٢﴾﴾ أى مولى جميع الخلق وهذا لا ينافى قوله ﴿وأن الكافرين لا مولى لهم﴾ لأن المراد بالمولى هنا: المالك أو الخالق، أو المعبود.. وثم الناصر.

٣١٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ .. ﴿٧٣﴾﴾.

خص ﴿قوله الحق﴾ بيوم القيامة مع أنه لا يختص به لوجوده فى الدنيا أيضًا، لأن ذلك اليوم ليس لغيره تعالى فيه قول يرجع إليه، بل قوله فيه هو الحق الذى لا يدفعه أحد من العباد لانكشاف الغطاء فيه.. ونظيره قوله تعالى: ﴿..وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ مع أن الأمر له فى كل زمان.

ومثل ذلك يأتى فى قوله: ﴿وله الملك يوم ينفخ فى الصور﴾ وأما ملك غيره فى الدنيا، فهو إنما يكون خلافه عنه، وهبة منه وإنعامًا بدليل قوله تعالى فى حق «داود» عليه السلام: ﴿وآتاه الله الملك والحكمة﴾.

٣١٣ ـ قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ .. ﴿٨٤﴾﴾.

إن قلت: كيف ذكر فى معرض الامتنان من أولاد «إسحاق» ولم يذكر معه «إسماعيل» بل أخره عنه بدرجات مع أنه أكبر منه؟

قلت: لأن إسحاق وهب له من حرة، وكانت عجوزًا عقيمًا.. وإسماعيل من أمة، فكانت المنة فى هبة إسحاق أظهر.

وقيل: لأن القصد هنا ذكر أنبياء بنى إسرائيل، وهم بأسرهم أولاد اسحاق واسماعيل لم يخرج من صلبه نبى إلا محمد ﷺ.

٣١٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾﴾.

قاله هنا بدون تنوين، وفى «يوسف: ١٠٤» بالتنوين لأنه ذكر هنا قبل قوله: ﴿فلا تقعد بعد الذكرى﴾ بلا تنوين فناسب ذكره هنا كذلك.

٣١٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ .. ﴿٩٢﴾﴾.

إن قلت: كيف قال فى وصف القرآن ذلك، مع أن كثيرًا ممن يؤمن بالآخرة، من اليهود، والنصارى وغيرهم لا يؤمن به؟

قلت: معناه والذين يؤمنون بالآخرة إيمانًا نافعًا مقبولاً هم الذين يؤمنون به.

٣١٦ ـ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ .. ﴿٩٣﴾﴾.

إن قلت: كيف أفرده بالذكر مع دخوله فى قوله قبل ﴿ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا..﴾؟.

قلت: إنما أفرده بالذكر، لأنه لما اختص بمزيد قبح من بين أنواع الافتراء، خص بالذكر تنبيها على مزيد العقاب فيه والإثم.

٣١٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ..﴿٩٥﴾﴾.

---

٣١٤ ـ البرهان ١٠٥ والنووى ١٢٥.

الآية، قال ذلك هنا، وقال فى «آل عمران» و«يونس» و«الروم» ﴿ويخرج الميت من الحى﴾ بالفعل.

لأن ما هنا وقع بعد اسم فاعل وهو «فالق». وقيل اسمى فاعل وهما: فالق وجاعل، فناسب ذكر، «مخرج» لكونه اسم فاعل وخص بالاسم لتكرر الاسمين بعده.. وخص ﴿يخرج الحى﴾ قبله بالفعل، إذ لم يتقدمه إلا اسم واحد.

وما فى بقية السور لم يقع قبله وبعده إلا أفعال فناسب ذكره بالفعل.

٣١٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ .. ﴿٩٨﴾﴾ الآية. قاله هنا بلفظ ﴿أنشأكم﴾ وفى غير هذه السورة بلفظ ﴿خلقكم﴾ لأن ما هنا موافق لقوله قبله: ﴿أنشأنا من بعدهم﴾ ولقوله بعده: ﴿وهو الذى أنشأ جنات﴾ بخلاف البقية.

٣١٩ ـ قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠١﴾﴾.

فائدة ذكر قوله: ﴿خالق كل شىء فاعبدوه﴾ فيها بعد قوله ﴿وخلق كل شىء﴾ جعله توطئة لقوله تعالى: ﴿فاعبدوه﴾ وأما قوله: ﴿وخلق كل شىء﴾ فإنما ذكر استدلالاً على نفى الولد.

٣٢٠ ـ قوله تعالى: ﴿لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾.

إن قلت: كيف خص الإبصار فى الثانى بالذكر مع أنه تعالى يدرك كل شىء؟

قلت: خصه بالذكر لرعاية المقابلة اللفظية، لأنها نوع من البلاغة.

٣٢١ ـ قوله تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً .. ﴿١١٤﴾﴾.

إن قلت: كيف قال ﴿إليكم﴾ ولم يقل ﴿إلى﴾ مع أنه تعالى إنما قال: ﴿وأنزلنا إليك الكتاب﴾؟.

---

٣١٨ ـ البرهان ١٠٨ وتفسير الطبرى ١١/ ٥٥٤.

قلت: لما كان إنزاله لأجل تبليغهم كان كأنه أنزل إليهم.

٣٢٢ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾.

قاله هنا بلفظ الرب وبعده بلفظ الله لأنه هنا وقع بين آيات فيها ذكر الرب مرات، وما بعد وقع بعد آيات فيها ذكر الله مرات، ولهذا ذكر لفظ «الله» قبل، فى قوله تعالى ﴿ولو شاء الله ما أشركوا﴾ وبعد فى قوله تعالى: ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾.

٣٢٣ ـ قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾﴾.

قال ذلك هنا بلا «باء» وبالمضارع موافقة لقوله بعد ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.

وقال فى «النحل: ١٢٥» و«النجم: ٣٠» و«ن: ٧» ﴿بمن ضل﴾ بزيادة الباء وبالماضى عملاً بزيادة الباء فى مفعول «اعلم» تقوية له لضعفه كما فى قوله تعالى: ﴿وهو أعلم بالمهتدين﴾ وقوله: ﴿وهو أعلم بمن اهتدى﴾ وعملاً فى الماضى بكثرة الاستعمال فى قولهم: «اعلم بمن دب ودرج، وأحسن من قام وقعد، وأفضل من حج واعتمر».

وحيث حذفت الباء أضمر فعل من مادة «علم» يعمل فى المفعول لضعف «اعلم» عن العمل بلا تقوية وتقديره فى الآية: يعلم من يضل.

٣٢٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ المزين لهم هو الله لقوله تعالى: ﴿زينا لهم أعمالهم﴾ أو الشيطان لقوله تعالى: ﴿وزين لهم الشيطان أعمالهم﴾ وكل صحيح فالتزيين من الله بالإيجاد والخلق، ومن الشيطان بالإغواء والوسوسة.

٣٢٥ ـ قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ..﴿١٣٠﴾﴾.

---

٣٢٢ ـ البرهان ١١١ والنووى ١٢٩ والدر المنثور للسيوطى ٣/ ٤٧.

٣٢٣ ـ البرهان ١١٢ والنووى ١٣٠ والطبرى ١٢/ ٦٤.

فإن قلت: كيف قال ذلك، والرسل إنما كانت من الإنس خاصة؟

قلت: بل ومن الجن أيضًا على قول الضحاك ومقاتل أنه أرسل إليهم رسل، وأما على قول غيرهما بمنع ذلك، فالمراد برسل الجن، الذين سمعوا القرآن من النبى ﷺ، ثم ولوا إلى قومهم منذرين كما قال تعالى: ﴿وإذ صرفنا إليك نفرًا من الجن يستمعون القرآن..﴾ الآية.

٣٢٦ ـ قوله تعالى: ﴿..قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ كرر شهادتهم على أنفسهم لاختلافها باختلاف المشهود به، لأن الأولى شهادتهم بتبليغ الرسل إليهم، والثانية شهادتهم بكفرهم.

فإن قلت: شهادتهم بكفرهم تضمنت إقرارهم به، وهو مناف لجحدهم فى قوله حكاية عنهم ﴿والله ربنا ما كنا مشركين﴾؟

قلت: مواقف القيامة مختلفة ففى موقف أقروا وفى آخر جحدوا.

أو المراد بشهادتهم شهادة أعضائهم عليهم، حين يختم على أفواههم كما قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وبجحدهم: جحدهم بأفواههم قيل أن يختم عليها.

٣٢٧ ـ قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ..﴿١٣٥﴾﴾.

قاله هنا وفى مواضع بالفاء، لأنه وقع جوابًا بالأمر قبله.

وقال فى أواخر «هود» فاء «٩٣» لأنه لم يتقدمه أمر فصار استئنافًا أو صفة لـ «عامل» أى إنى عامل سوف تعلمون.

٣٢٨ ـ قوله تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ..﴿١٤٠﴾﴾.

إن قلت: ما فائدته بعد قوله ﴿سفها﴾ مع أن السفه لا يكون إلا بغير علم؟

قلت: معنى قوله تعالى: ﴿بغير علم﴾ بغير حجة.

٣٢٩ ـ قوله تعالى: ﴿ .. قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾.

فائدته بعد قوله: ﴿قد ضلوا﴾ أنهم بعدما ضلوا لم يهتدوا مرة أخرى.

٣٣٠ ـ قوله تعالى: ﴿ .. كُلُوا مِن ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ .. ﴿١٤١﴾ ﴾.

إن قلت: ما فائدة ذكره بعد قوله ﴿كلوا من ثمره﴾ مع أنه معلوم أنه إنما يؤكل من ثمره إذا أثمر.

قلت: فائدته نفى توهم توقف إباحة أكله على بدو صلاحه.

٣٣١ ـ قوله تعالى: ﴿قُل لاَّ أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلاَّ أَن يَكُونَ مَيْتَةً .. ﴿١٤٥﴾ ﴾ الآية، أى لا أجد فيه محرمًا مما كانوا يحرمونه فى الجاهلية، إلا أن يكون ميتة﴾ إلى أخرى، وإلا ففى القرآن تحريم أشياء أخر غير ذلك، كالربا، وأكل مال اليتامى ومال الغير بالباطل.

٣٣٢ ـ قوله تعالى: ﴿فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ ﴾.

فإن قلت: كيف قال فى الجواب ذلك مع أن المحل محل عقوبة، فكان الأنسب أن يقال: فقل ربكم ذو عقوبة شديدة؟

قلت: إنما قال ذلك نفيًا للاغترار بسعة رحمته فى الاجتراء على معصيته وذلك أبلغ فى التهديد معناه: لا تغتروا بسعة رحمته فإنه مع ذلك لا يرد عذابه عنكم.

٣٣٣ ـ قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ .. ﴿١٤٨﴾ ﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى النحل: ﴿ .. لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ .. ﴿٣٥﴾ ﴾ [النحل: ٣٥].

---

٣٣٣ ـ انظر البرهان بتحقيق السيد الجميلى ١١٤ والنووى ١٣٣ والبحر المحيط ٤/٢٤٢.

بزيادة ﴿من دونه﴾ مرتين وزيادة ﴿نحن﴾.

لأن الشراك يدل على شريك لا يجوز إثباته وعلى أشياء من دون الله، فلم يحتج إلى ﴿من دونه﴾ فحذف وتبعه فى الحذف ﴿نحن﴾ طردًا للتخفيف.

بخلاف العبادة فإنها غير مستكرة، وإنما المستكر عبادة شىء مع الله ولا يدل لفظهما على تحريم شىء كما دل عليه ﴿أشرك﴾ فلم يكن بد من تقييده بقوله: ﴿من دونه﴾ وناسب استيفاء الكلام فيه زيادة ﴿نحن﴾ وظاهر أن زيادة ذكر التحريم فى آية ﴿لو شاء الله ما أشركنا﴾.

٣٣٤ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ..﴿١٥١﴾﴾ الآية.

قال ذلك هنا، وقال فى الإسراء: ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق، نحن نرزقهم وإياكم﴾.

قدم هنا المخاطبين على الغائبين وعكس ثم، لأن ظاهر قوله هنا ﴿من إملاق﴾ أى فقر، إن الإملاق حاصل للوالدين المخاطبين لا توقعه فبدىء بهم، وظاهر قوله ثم ﴿خشية إملاق﴾ أن الإملاق متوقع بهم وهم موسرون، فبدىء بالأولاد، فما هنا يفيد النهى للآباء عن قتل الأولاد وإن تلبسوا بالفقر، وما هناك يفيده وإن تلبسوا باليسر.

٣٣٥ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ..﴿١٥٢﴾﴾.

إن قلت: لم خص العدل بالقول، مع أن الفعل إلى العدل أحوج فإن الضرر الناشىء من الجور الفعلى، أقوى من الضرر الناشىء من الجور القولى؟

قلت: إنما خصه بالقول، ليعلم وجوب العدل فى الفعل بالأولى، كما فى قوله تعالى: ﴿ولا تقل لهما أف﴾.

٣٣٦ ـ قوله تعالى: ﴿.. ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾﴾.

---

٣٣٤ ـ البرهان ١١٥ والنووى ١٣٥ وزاد المسير ٣/ ١٤٨ والطبرى ١٢/ ٢١٩.

٣٣٥ ـ البرهان ١١٦.

ختم الآية بـ الأولى بقوله ﴿تعقلون﴾ والثانية بقوله: ﴿تذكرون﴾ والثالثة بقوله ﴿تتقون﴾.

لأن الأولى: اشتملت على خمسة أشياء عظام والوصية فيها أبلغ منها فى غيرها، فختمها بما فى الإنسان من أعظم السجايا وهو «العقل» الذى امتاز به على سائر الحيوان.

والثانية: اشتملت على خمسة أشياء يقبح ارتكابها، والوصية فيها تجرى مجرى الزجر والوعظ فختمها بقوله: ﴿تذكرون﴾ أى تتعظون.

والثالثة: اشتملت على ذكر الصراط المستقيم، والتحريض على اتباعه واجتناب منافيه، فختمها بالتقوى التى هى ملاك العمل، وخير الزاد.

٣٣٧ ـ قوله تعالى: ﴿.. وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ .. ﴿١٦٤﴾﴾.

إن قلت: هو مناف لنحو قوله تعالى: ﴿وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم﴾ ولخبر «من عمل سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»؟

قلت: لا منافاة إذ الوزر فى الآية الأولى محمول على من لم يتسبب فى الفعل بوجه، وفيما عداها على من تسبب فيه بوجه كالأمر به والدلالة عليه فعليه وزر مباشرته ووزر تسببه فيه.

٣٣٨ ـ قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ .. ﴿١٦٥﴾﴾.

قال ذلك هنا، وقال فى «يونس: ١٤» و«فاطر» ﴿خلائف فى الأرض﴾ لأن ما ههنا تكرر قبله ذكر المخاطبين مرات، فعرفهم بالإضافة وما فى السورتين جاء على الأصل، كما فى قوله تعالى: ﴿إنى جاعل فى الأرض خليفة﴾ وقوله: ﴿وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه﴾.

٣٩٩ ـ قوله تعالى: ﴿.. إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ وقال فى الأعراف ﴿إن ربك لسريع العقاب وإنه لغفور رحيم﴾ باللام فى الجملتين، لأن ما هنا وقع بعد قوله: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾

٣٣٨ ـ البرهان ١١٧ والفتاوى ١٤٠ وتفسير الطبرى ١٢/ ٢٨٧.

وقوله: ﴿وهو الذى جعلكم خلائف الأرض﴾ فأتى باللام فى الجملة الثانية فقط، ترجيحًا للغفران على سرعة العقاب.

وما هناك وقع بعد قوله: ﴿وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس﴾ وقوله: ﴿فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين﴾ فأتى باللام فى الجملة الأولى لمناسبة ما قبلها، وفى الثانية تبعًا للام فى الأولى.

فإن قلت: كيف قال: ﴿سريع العقاب﴾ مع أنه حليم، والحليم لا يعجل بالعقوبة على من عصاه؟

قلت: معنى «سريع» شديد أو المعنى سريع العقاب إذا جاء وقته.

« انتهت سورة الأنعام »

❋❋❋❋❋❋❋❋❋❋

obeikandl.com